

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم، سيدنا محمد النبى الأمين، وعلى سائر إخوانه النبيين، وآل كل، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه عجالة أقدمها عن الحشرات فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مذيلا إياها بما ورد عن الحشرات فى الأدب، وما يرمى إليه كل ذلك من دلالات، وتلك فكرة لها فى النفس جذور، فقد سيطرت فكرة الكتابة فى هذا الموضوع على ذهنى، واشتعلت جذوتها فى وجدانى منذ أمد غير قريب، يوم أن كنت طالبا فى السنة الأولى بكلية الزراعة - جامعة الأزهر - فى العام الدراسى ٦٤ - ١٩٦٥م، حيث كنت وزملائى نمثل طليعة التطبيق العملى لقانون تطوير الأزهر وهيئاته، وهو القانون المعروف بقانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١م، جئنا من المعاهد الأزهرية المنشرة فى ربوع مصر، جئنا وكلنا أمل فى أن نزاوج بين الثقافة الدينية والثقافة العملية، بما يعود علينا بالخير فى أنفسنا عن طريق استيعاب حقائق الدين، وبما يعود على الدعوة الإسلامية بالخير والازدهار، حيث نقدمها للناس فى ثوب قشيب، يعتمد على أساس متين من تراثنا الإسلامى، مع تطويع النتائج العملية الصحيحة والموثوق بها لخدمة هذا الهدف السامى النبيل، مستهدفين إزالة ما بين الثقافتين من فجوة مصطنعة أو جفوة مفتعلة.

وشاء الله - وما شاء الله كان - أن أجد ضالتي المفقودة، وبغيتى المنشودة، فى تتلمذى على أساتذة أجلاء، وسادة فضلاء، أتوا إلى أزهرنا المعمور وهم يحملون بين جوانحهم حبا عميقا لهذا المعقل يفيض على جوارحهم، وتنفض به قلوبهم، خبرة واسعة وعطاء بغير حدود، وتغانى منقطع النظير، فكانوا يصلون الليل بالنهار،

أملين أن يعود للأزهر - فى المجال العلمى - مجده التالذ، وعزه الخالذ، وكأنى بهم
يتمثلون قول شوقى فى مذج الأزهر:

ما ضرنى أن لىس أفقك مطلعى وعلى كواكبه تعلمت السرى
لما جرى الإصلاح قمت مهنا باسم الخنيفة بالمزىذ مبشرا

وقذ تأثرت كثرأ بأستاذى اللىلى الأستاذ الذكتور أحمذ حسنن القفل، أستاذ
علم اللىوان الزراعى، حىث وجزذ فى ماضراته العامة والخاصة، وفى لقاءاته
المثمرة، فضلاً عن مؤلفاته القىمة، وجزذ فى كل هذا لونا جزىذاً من الثقافة،
يؤمن صاحبه إماناً قوياً، ويسعى جاهذاً لربط الحقىقة العملىة بالأساس الذنى فى
أسلوب علمى متأذب، وفكر رفىع منظم، أعانه علىه فقه لكتاب الله، وتمكن من
ناصية البىان، مع نفس خاشعة لله.

فتاقت نفسى أن أأذو حذوه، وأن أسىر على الذرب الذى بدأه، عرفانا بجزه،
ووفااء لفضله، وعملا بالقول المأثور: العلم رحم بىن أهله، وهى رحم موصولة
مبلولة ببالها إن شاء الله تعالى.

وضاعف من هذا الشعور لذى ما لمسته - خلال دراساتى المتخصصة عن الحشرات
- من حاجة المكتبة العربىة إلى مراجعة ذقىة لما ورد عن الحشرات فى كتب التراث،
مثل كتب التفسىر المتخصصة، وشروح الأحاءىث النبوىة، والأذب العربى، مراجعة
ىتسنى للقارىء من خلالها وضوح الصورة، وتنقىة المعلومات مما ىشوبها - فى بعض
الأحىان - من مجافاة للحقىقة، وبعد عن الصحة، ىجعلها تجنح إلى الإغراب بدلا من
الإغراب، مع تقذىم صورة واقعىة فى ضوء ما أسفرت عنه نتائج البعث العلمى فى
هذا المجال، ذلك لأن العصر الذى نعىشه ىعتبر - بغير جذا - عصر العلم والتقنىة
الحذىثة، كما أن البصراء لا ىقبلون من المعارف إلا ما ىستند إلى العلم، وهو مطلب
ىقره القرآن وىؤىده، حىث ىلفت الأنظار إلى التمسك بأسباب هذه القضىة، فالقرآن
فى حد ذاته مفصل على علم، ىقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

كما ىعىب على الخراءىن والتمسكىن بالظنون مسلكهم:

﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٨)

إذا كان هذا واقعا إنسانيا، ومطلباً دينيا، فحرى بنا إذا أن نقدم المعرفة الصحيحة عن هذه المخلوقات بالأسلوب المناسب استجابة لداعى الله لنا بالتأمل الواعى والنظر الدقيق:

﴿ قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١).

وإثراء لمعانى القرآن الكريم بما من شأنه أن يرد شارد الفهم إلى صوابه، ويزيد المؤمن إيمانا مع إيمانه، وحتى تنال المعارف العلمية شرف الانضمام إلى العلوم الخادمة للقرآن، وهى علوم اللغة وآدابها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ وفى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ (الجناتية: ٣، ٤).

ونسوق فيما يلى نموذجاً لما نجده فى كتب التراث من تعريف الحشرات، يتضح من خلاله حقيقة ما نهدف الوصول إليه فى هذا الصدد، يقول كمال الدين الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان الكبرى): (الحشرات صغار دواب الأرض، وصغار هوامها، الواحدة: حشرة - بالتحريك -).

وهذا القول عن الحشرات هو ما يذهب إليه العامة وغير المتخصصين إلى يوم الناس هذا، فهم يطلقون هذه الكلمة على كل ما يصادفهم من هوام الأرض، سواء فى ذلك تلك التى تدب على ظهرها أو تأوى إلى جحور فى سطحها، وبخاصة ما كان منها ضاراً أو دميم الخلقة، مثل العقارب والعناكب والزواحف أو حتى الضفادع، وهذا التعريف لا يكاد واضعه يستند إلى أساس علمى بقدر ما يعتمد على المعنى اللغوى والاشتراك اللفظى؛ حيث ارتبط معنى الحشرات فى أذهان الناس بالشر والقبح؛ لأن الكثير منها ضار، كما توسعوا فى هذا الإطلاق بحيث أصبحوا ينعنون بهذا الاسم أصحاب التصرفات غير اللائقة، أو من لا يؤبه بهم. ومن هذا القبيل ما نجده مبثوثاً فى بعض كتب التفسير من تعاريف لأنواع الحشرات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، كالفراش والجراد والقمل...

والحقيقة أن الحشرات قد أصبحت من الواضح بمكان؛ نتيجة للدراسات والأبحاث المستفيضة عنها، بحيث لم يعد الحديث عنها مقبولا بهذا التهويم أو التعميم، فهي مجموعة كبيرة من الحيوانات قائمة بذاتها، لها من الخواص والمميزات ما يجب معه تخلص القول عنها من شوائبه، ويحق لنا أن نطلق عليها "أمة الحشرات" من منطلق قوله الله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ولقد أطلق الرسول ﷺ على الجنس الواحد من أجناس الحشرات أمة، كما ورد في الحديث عن الجراد والنمل، فعن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"خلق الله عز وجل ألف أمة، منها ستمائة فى البحر، وأربعمائة فى البر، أول شئ يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلك تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه" (رواه الترمذى وأبو يعلى^(١)).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فقرصته غملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفى أن قرصتك غملة أهلكت أمة من الأمم يسبحون الله - تعالى -؟! فهلا غملة واحدة!" (رواه مسلم، ج ٥، ص ٩٧، ط الشعب).

وعليه فإن الكتابة عنها مع توافر المعلومات وتواترها تعين على تجلية غوامضها، وفهم الأسرار الدقيقة التى أودعها الله فيها، مما يجعل الفاهق البصير يُعْمَلُ فكره، ويشمر عن ساعد الجد لِيَسْبِرَ هذا الغور، فلا يمر على الحديث عنها مر الكرام، وكل ذلك يحتاج وقفة دقيقة متأنية، تتضافر فيها الجهود المخلصة والمتخصصة لإبراز تلك المقاصد السامية.

وستظل الحشرات آية من آيات الله تظهر من خلالها عظمتة لأهل كل عصر ومصر، فمن أراد أن يعرف قدر الدنيا عند خالقها فليستمع إلى سهل بن سعد -

^(١) أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ١٤/٣، وفى روايته من ضعفه أبو حاتم الرازى.

رضى الله عنه - إذ يقول : قال رسول الله ﷺ : "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء" (رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الحاكم وصححه).

فإذا كان هذا التعبير قد ورد فى زمن تعد فيه محاولة وزن جناح البعوضة ضربا من الخيال ، أو جريا وراء الأوهام ، فإنه يظل صالحا لبيان حقيقة الدنيا فى زماننا هذا ، الذى لا يستعصى فيه على الموازين الحساسة والإلكترونية تقدير ما هو أقل من جناح البعوضة ، حيث قدمت لنا المجاهر الحديثة (الميكروسكوبات) من العون ما يوقفنا على حقيقة هذا الجناح ، وأنه على دقته ورقته فيه من حسن الصنعة ما يجعله يشبه بصمة الأصابع بالنسبة للإنسان ، فكل نوع حشرى له نمط خاص من الأجنحة يسهل التعرف عليه من خلاله شكلا وحجما وتركيبا ووظيفة.

وبالرغم من الجهود الجبارة التى قد بذلت لتتقنة كتب التراث - فى كثير من الموضوعات - من الدخيل الذى شابها ، والذى من شأنه أن يوقع الناس فى حيرة ، كموضوع الإسرائيليات ، وبالرغم من المحاولات الجادة لتوظيف حقائق العلم ومعطياته لفهم أسرار الكون ، بالرغم من كل هذا فإن حظ الحشرات من هذه المراجعات ما يزال ضئيلا أو هامشيا ، وربما يرجع ذلك لاستصغار شأنها ، أو لأن تناول هذا الموضوع يحتاج إماما بالثقافة الدينية والثقافة العلمية ، وهذا سبب رئيسى فى هذا الموضوع.

ولكل هذه الاعتبارات وغيرها فقد استعنت بالله - تعالى - فى جمع شارذ هذا الموضوع إلى وارده ، متوخيا الترتيب الأبجدي لأسماء الحشرات أثناء العرض ، مع ذكر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى ورد فيها ذكر هذه الأسماء ، ثم أتبع النص بشرح ميسر يختلف طولا وقصرا بحسب ما يتطلبه المقام ، فهناك موضوعات اقتضى مقام عرضها أن يكون الشرح مسهبا كما فى البعوض والنحل والجراد ، فى حين اقتضى مقام عرض موضوعات أخرى كالذر (النمل الصغير الأحمر) والقمل أن يكون شرحها موجزا ، مع تقديم الحقائق العلمية التى تميظ اللثام عن أهمية هذا النوع أو ذاك ، وأيضا نقدم ما ورد فى الأدب العربى (شعرا - نثرا - وأمثالا) مما له كبير الأثر فى بيان خواص النوع أو أنماط سلوكه ، مع تحسس موطن العبرة والعظة فى

هذا القول أو ذاك، ولا شك أن ذلك يكون له أكبر الأثر فى نفس القارئ، من حيث إمتاعه وتجلية الصورة أمام ناظره، وكل ذلك من خلال المراجع العلمية الثَّبتة وكتب التراث المعتمدة، وللصدق فى القول فإننى قد ضربت صفحاً عن الحشو الذى ورد فى هذه الكتب عن الحشرات مما لا أجد طائلا من وراء ذكره، كبعض القصص والوصفات العلاجية التى تحتاج تحريصا وتدقيقا معمليا يعضد الأخذ بها.

ولقد تم ترتيب هذا الكتاب على مقدمة، وبابين يحتويان على ثمانية فصول؛ تناولت فى المقدمة أهمية هذا الموضوع؛ بالإضافة إلى أهم البواعث التى دعتنى إلى الكتابة فيه؛ كما قدمت للموضوع بمدخل للتعريف بالحشرات، وبأهم العوامل التى ساعدت هذه المخلوقات الحيوانية على الاستمرار والانتشار فى ربوع الدنيا، وكذلك تعرضت لبيان الأهمية الاقتصادية للحشرات؛ حتى يكون القارئ غير المتخصص على بينة من الأمر، كما أتبع ذلك بحصر الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر الحشرات؛ وأتبع ذلك بتعليق على هذا الحصر، وقدمت كذلك حصرا آخر للأحاديث الشريفة التى وردت الإشارة فيها إلى الحشرات؛ أو إلى أجزائها أو فوائدها وأهميتها؛ أو تلك الأنواع التى ورد ذكرها كمادة لضرب الأمثال؛ مع الاهتمام بتخريج هذه الأحاديث؛ ولقد اتضح لى أن السنة النبوية الشريفة تعتبر ميدانا خصبا فى هذه الناحية؛ مما يمكن اعتباره أدلة مادية تدل على طلاقة قدرة الله تعالى؛ كما لم تُفتنى الإشارة إلى ذكر مقتطفات عن الحشرات مما حفلت به كتب التراث الإسلامى من معلومات وثيقة الصلة بالحشرات.

وقد راعيت فى ذلك كله عدم الاقتصار على تعديد المؤاخذات والمثالب التى تتعلق بالآراء الضعيفة فى هذا الصدد، مع الاهتمام بالإشارة بل والإشادة بما يتفق من تلك الآراء مع المعارف العلمية الحديثة، مع التنصيص على ما ثبتت مجانبته للصواب أو بعد عن الحقيقة من هذه الآراء.

وقد حاولت جاهدا التوفيق بين ما أجده من تعارض فى فهم النص، أو الاستدلال به مع الحقائق العلمية الثابتة والمستقرة، ومن ذلك على سبيل المثال ما قمت بتوضيحه عند الحديث عن أصل الجراد، وهل هو حقا نُثْرَةٌ حوت فى البحر أو لا؟ وكذلك تقديم رؤية واضحة لما هو معروف بأحاديث الذباب.

ومما لا شك فيه أن هذه المراجعات العلمية تتيح للداعية أن يقتحم هذا المجال العلمى بخطى ثابتة. كما وجدت من الضرورى أن أبين الحكمة من وراء ذكر الحشرات فى الكتاب العزيز والسنة النبوية، مع الهدف الرئيسى لهما فى الهداية والإرشاد وتوضيح العقائد والعبادات التى يتعبد الناس بها. أضف إلى ذلك أننا نعلم سلفاً أن القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا كتباً من كتب العلوم.

كما قدمت صورة عامة عن الحشرات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، مع تسليط الضوء على جانب من الطرائف التى نلاحظها فى دنيا الحشرات. وحسبى من وراء ذلك كله أننى أدلى بدلوى فى الدلاء، وأقدم عملاً أمثل فيه قول رسول الله ﷺ: "كل مسلم على ثغرٍ من ثُغورِ الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبِله" وأياً ما كان هذا الجهد فهو حظ العاجز وجهد المقل، فإن كنت قد وفقت لما تآقت إليه النفس فذلك محض فضل من الله والله ذو الفضل العظيم، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت.

وبالله التوفيق، ومنه المعونة والهداية، وهو على كل شىء قدير.

أ.د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

أستاذ الحشرات الاقتصادية
كلية الزراعة - جامعة الأزهر